# جوانب من دلالة السياق في النص القرآني عند د. تمام حسان

ا.د. عدنان عبد الكريم جمعة
جامعة البصرة – كلية الآداب

**ملخص البحث:**

اهتم البحث بجانب مهم من جوانب المعنى في النص القرآني عند د.تمام حسان وهو دلالة السياق، موضحا مايتعلق منه بالجانب القولي وهو سياق النص المتمثل بالعلاقات النحوية والمعجمية، ودلالة عناصرالنص.وبالجانب غير القولي وهو سياق الموقف، ومايتعلق به من قرائن واقعية وأخرى عقلية.

المحور الاول: السياق واثره الدلالي: يراد بمصطلح السياق في الدرس اللغوي المعاصر، المحيط الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، لمة كانت او جملة ،في ضمن عناصر لغوية او غير لغوية[1] للكشف عن معنى تلك الوحدة اللغوية التي لاينكشف معناها الا بوضعها في سياق معين[2] ((وبمقتضى النظرية السياقية.. أن المعنى يفسر باعتباره وظيفة في السياق))[3] للسياق اثر في ازالة الغموض الذي يحيط بالجملة عندما تكون خارج السياق[4]. قد يتجاوز معنى الوحدة اللغوية ماهو ظاهر،الى ماهو مقصود ضمنا او ما يفترض مسبقا،والسياق كفيل ببيان ذلك[5].

أهمية السياق عند د.تمام:اهتم د.تمام بالسياق،واهميته في الوصول الى المعنى المراد، اذ يقول ((ان المعنى لا يستدل عليه بالالفاظ فحسب، وانما تتعدد وسائل الدلالة عليه بحيث تشمل الاحداث والمواقف والانطباعات ومايكون من تجريدات ذهنية تحدث عند ادراك المعنى))[6]. هو يشير الى جانبين مهمين هما الجانب اللغوي متمثلا بالالفاظ وهذا الجانب لا يكفي للاستدلال على المعنى المراد، والجانب الاخر غير لغوي يتمثل بالاحداث والمواقف التي قيل فيها الكلام. ومن تضافر هذين الجانبين اللذين يؤلفان السياق، يمكن الوصول الى دلالة الوحدة اللغوية.وبهذا تبدو المساحة الواسعة للسياق التي ((تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية وتشمل الدلالات بانواعها من عرفية الى عقلية الى طبيعية (...و) تشتمل على المقام من عناصر حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية،مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن))[7].

وتمتد أهمية السياق لبيان المقصود من المعنى، أهو المعنى الاصلي ام المجازي،وما فيه من كناية أو تورية أو جناس، وله أهمية أيضا في تعيين المقصود من المعنى عند غياب القرينة اللفظية وكان المعنى محتملا لهذا أو ذاك[8].

ويتضح مما تقدم نوعا السياق، وهما سياق النص، ويكون بقرائن تركيبية أو دلالية، والاولى هي العلاقات النحوية، والثانية هي العلاقات النصية، وسياق الموقف، ويكون بقرائن واقعية كأحداث التاريخ ومواقع جغرافية، وأعراف، أو بقرائن عقلية تنشأ من تداعي المعاني[9].

المحور الثاني: سياق النص: يقصد به ((الجانب القولي بما فيه من عناصر التركيب وما تنتظم به من تصنيف وتأليف وعلاقات وقرائن))[10]

ويمكن بيان هذه العناصر وأثرها في النص القرآني عند د.تمام كما يأتي:

**أ- العلاقات النحوية**: وبها يتحقق تركيب النص، والمعاني التي تفيدها عناصر التركيب في سياق النص. ففي قوله تعالى (طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى)[11]، جاءت (الا) للاستدراك بمعنى (لكن)، مع ان المشهور ان (الا) أداة استثناء. لأن سياق النص هنا لم يقدم مستثنى منه ومستثنى، بل جاءت العلاقة بين اول الكلام واخره علاقة استدراك[12]. ويسمي هذا (نقلا)، وهو اجراء اسلوبي نقلت فيه (الا) من الاستثناء الى معنى الاستدراك [13]. وفي النقل ((يمنح المنقول اليه معنى المنقول منه دون حروفه...فيكون المقصود هو(لكن انزلناه تذكرة لمن يخشى). ومن هذا القبيل ما في قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما)[14] فالسلام لايستثنى من اللغو وانما يستدرك به عليه)) [15] وفي قوله تعالى (وان كل لما جميع لدينا محضرون)[16].

جاءت (ان) مخففة، فهي اما شرطية أو محففة من الثقيلة، أو نافية.

ولكن مابعدها لايصلح للشرط، فتحتمل اما المخففة من الثقيلة، بقرينة اللام في (لما) وزيادة (ما)[17]، ليكون المعنى: ((وان كلا منهم لمحضرون جميعا))، واما ان تكون نافية، و(لما) بمعنى (الا)[18]، ليكون المعنى ((وما كل الا جميع لدينا محضرون))[19] وبذلك يتعدد معنى النمط التركيبي، وتعد احتمالات العلاقة النحوية من اسباب هذا التعدد، ((كأن يصلح المعطوف ان يعطف على هذا اللفظ او ذاك وكاحتمال تعلق الظرف أو الجار والمجرور، الخ، كما في قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)[20] اذ يصلح الجار والمجرور (من أمر الله) ان يكون صفة للمعقبات[21] او ان يتعلق بالفعل (يحفظونه)))[22].

ومنه ((تعدد معنى الاداة ذات الصدارة في الجملة، كما في قولة تعالى (وما ادراك ما هيه)[23]، اذ تصلح (ما) للاستفهام كما تصلح للتعجب))[24].

فالمعنى على المستوى النحوي، راجع فيما تقدم الى العلاقات النحوية والقرائن اللفظية او المعنوية في سياق النص.

**ب- العلاقات المعجمية**: ويقصد بها المناسبة المعجمية بين مفردات النص، وهي قرينة من قرائن السياق، في الكشف عن المعنى، حيث لا تكفي العلاقات النحوية لذلك[25]، ففي قوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير)[26] هناك مفارقة معجمية في اضافة اللباس للتقوى، اذ لا لباس للتقوى، ولكن لفظة (لباس) يمكن ان تكون مصدرا للفعل (لابس) أي خالط وزاول [27].وبذلك يستقيم المعنى، فيصبح ((مزاولة التقوى خير)). ومنه قوله تعالى (هن لباس لكم...)[28] اي مخالطات لكم. وفي قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا)[29] اي ((وقتا يتمع فيه بعضكم مع بعض)) وقوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف[30] اي معاناة الجوع والخوف[31].

**ج- دلالة عناصر النص**: وهنا تكون لدلالة عناصر النص اثر في الدلالة على معناه، فلفظة (يعدلون) في قوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)[32] تعني يجعلون لله عديلا، في حين هي في قوله تعالى (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون)[33]. تعني (يقسطون).

فدلالة النص هنا رهن بدلالة عناصره على معناه[34]. وهذا من احتمال تعدد المعنى الوظيفي للكلمة [35].

د- وقد يساعد نص اخر على فهم نص معين في سياق السورة نفسها، ففي قوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)[36] من سورة النحل، اذ هنا خياران لفهم النص، الاول عند قوله (والانعام خلقها لكم)، لأن الله سبحانه سخر الانعام في خدمة الانسان، والاخر عند قوله تعالى

(والانعام خلقها) ثم استئناف الكلام بقوله (لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) وما عطف على هذه الاية من قوله تعالى (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)[37]، ثم قوله بعدها (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)[38]، فيكون هذا المعنى هو المقصود،أي لكم في الانعام هذه الاشياء جميعا[39].

ومثال اخر، قوله تعالى (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة)[40]، فسر ذلك بأن يعقوب خشي على بنيه من العين (الحسد) فأمرهم أن يدخلوا من ابواب متفرقة لا باب واحد [41]، لكن د.تمام يذهب الى ان يعقوب تسرب الى نفسه الخوف على بنيه من ان يحاط بهم، وان يكون في الأمر مكيدة، فأوصاهم بأن يدخلوا من ابواب متفرقة، فان احيط ببعضهم نجا بعضهم الآخر. وهذا ما يفهم من قوله لهم (لتأتنني به الا ان يحاط بكم)[42].

وقد يكون النص المساعد على فهم المعنى في سورة اخرى، من ذلك قوله تعالى (ليأكلوا من ثمره وماعملته ايديهم أفلا يشكرون)[43].

فقد قيل[44] أن(ما) في الآية موصولة فيكون معنى الآية ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته ايديهم ، ولكن قرينة السياق تدل على معنى النفي من جهتين: الاولى قوله تعالى (أفلا يشكرون)، والثانية: ان الله يقول في سورة النمل (أمن خلق السماوات وألارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم ان تنبتوا شجرها أاله مع الله)[45]

فدل ذلك بطريق التناص على معنى النفي ل (ما) في الآية الاولى [46].

## المحور الثالث: سياق الموقف:

هناك عناصر غير لغوية، تساعد على فهم الوحدات اللغوية التي تقع في محيطها، وقد أشار (فيرث) الى الجانب الثقافي والاجتماعي الذي يصاحب الكلام، وخبرات المشاركين فيه [47].

وقال د.تمام حسان ((واما المقصود بسياق الموقف فهو مايصاحب المنطوق من اوضاع تداوليه توصف احيانا بأنها عناصر الموقف، وهي عظيمة الاهمية لفهم مايقال. ويسميها المفسرون اسباب النزول (...و) يسميها شراح النصوص المقام))[48].ويوضح د.تمام فهمه للمقام الذي يختلف عن فهم البلاغيين العرب الذين قالوا ((لكل مقام مقال)) و((لكل كلمة مع صاحبتها مقام)) [49]، قائلا ((الذي اقصده بالمقام ليس اطارا أو قالبا، وانما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم...وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي يشمل كل جوانب عملية الاتصال من الانسان والمجتمع والتأريخ والجغرافيا والغايات و المقاصد))[50].

أما قرائن سياق الموقف فهي عنده على نوعين: قرائن واقعية وقرائن عقلية.

**أ. القرائن الواقعية:** ويقصد بها ((اعتماد الفهم اما على العرف السائد أو التاريخ أو الجغرافيا أو العلاقات بين عناصر الموقف الذي حدث فيه انتاج النص))[51].

فمما يشير الى العرف عند بعض العرب أن يكرهوا فتياتهم على التكسب عن طريق الزنا، فنهى الاسلام عن ذلك. قال تعالى ((ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا))[52]

وفي قوله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية)[53]

اذ روي ان قريشا كانت تطوف بالبيت عراة يصفقون ويصفرون، وهم يعدون ذلك عبادة[54]. أما الوقائع التاريخية فهي كثيرة، ويفهم في ضوئها المعنى المقصود، كما في قوله تعالى (تبت يدا أبي لهب)[55]، وقوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) [56] وغير ذلك[57]. ومما ورد مقترنا بالجغرافية قوله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون)[58]. وذلك في ذكر

قصة موسى(ع) ومروره بماء مدين.[59] وفي قوله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين).[60] في اشارة الى مدائن صالح.[61]

**ب. القرائن العقلية:** وهو مايحتمله العقل من صرف المعنى عن ظاهر النص الى فهم اخر.[62] ففي قوله تعالى (ولا تموتن الا وانتم مسلمون)[63]، يشير ظاهر النص الى النهي عن الموت الا عن اعتقاد بالاسلام، ولكن الواقع ان الموت والحياة بيد الله لا بيد الانسان فليس المقصود النهي عن الموت كما هو ظاهر النص، وانما هو الامر بالتمسك بالاسلام حتى الموت.[64] وفي قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)[65] لايمنع ظاهر النص من تعلق الجار والمجرور (من أمر الله) بالفعل (يحفظونه)، ولكن العقل يمنع ذلك ،لان قضاء الله لا يرده احد حتى (المعقبات)، ومن أجل ذلك يكون الجار والمجرور متعلقا بصفة مقدرة للفظ معقبات.[66]

## الخاتمة:

1. اهتم البحث بجانب مهم من جوانب البحث عن المعنى في النص القرآني عند د.تمام حسان وهو دلالة السياق، موضحا ما يتعلق منه بالبحث القولي وهو سياق النص المتمثل بالعلاقات النحوية والعلاقات المعجمية، ودلالة عناصر النص وبالجانب غير القولي وهو سياق الموقف، وما يتعلق به من قرائن واقعية واخرى عقلية.
2. رجح د.تمام حسان أحد المعاني السياقية، وأشار الى تعدد معاني بعضها في النصوص القرآنية كما ورد في دراسته العلاقات النحوية في سياق النص.
3. ذكر د.تمام امكان الاستعانة بأكثر من سياق في السورة نفسها لبيان الدلالة المقصودة لعناصر النص، وقد يكون النص المساعد على ذلك في سورة اخرى.
4. لم يكتف د.تمام بمفهوم (المقام) كما ورد في التراث البلاغي اذ عده اطارا أو قالبا يقال به النص بل ذهب الى انه يشمل كل جوانب عملية الاتصال

من الإنسان والمجتمع والتاريخ والجغرافية وغيرها. موضحا ذلك في بعض نصوص من القرآن الكريم.

## الهوامش:

1- دلالة السياق، د.ردة الله، 51
2- ينظر: علم الدلالة، د.أحمد مختار، 68-69 و اللغة في الدرس البلاغي، د.عنان، 120
3- وصف اللغة العربية دلاليا، د.محمد يونس، 99
4- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، 218
5- المصدر نفسه، 222
6- خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، 83
7- االبيان في روائع القرآن، 173/1
8- المصدر نفسه 173/1-174
9- مقالات في اللغة والادب 66/2
10- خواطر من تأمل القرآن الكريم، 84
11- طه 1-3
12- مقالات في اللغة والادب 66/2ونصب مابعد (الا) هنا على انه استثناء منقطع،وهو احد وجوه نصبه. ينظر الكشاف، الزمخشري، 699/2
13- خواطر...55
14- مريم، 62
15- حصاد السنين، د.تمام، 59
16- يس، 32
17،18. الكشاف 996/3
19- مقالات في اللغة والادب 66/2
20- الرعد، 12
21- الكشاف 63/2
22- اجتهادات لغوية، د.تمام، 163
23- القارعة،10
24- اجتهادات لغوية، 163
25- مقالات في اللغة والادب 68/2

26- الاعراف، 26

27- في العين ((اللباس ما والريت به جسدك، ولباس التقوى: الحياء)) مادة لبس 262/7 وقال الراغب ((وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه)) مفردات الفاظ القرآن 735. ولم يرد فيهما ولا في لسان العرب (مادة لبس) 3987/5 ،ان (اللباس) مصدر للفعل (لابس).

28- البقرة، 187

29- النبأ،10

30- النحل، 112 وهي استعارة ينظر الكشاف 621/2

31- مقالات في اللغة والادب 68/2-69

32- الانعام، 1

33- الاعراف، 181

34- مقالات في اللغة والادب 70/2

35- اجتهادات لغوية 163

36- النحل، 5

37- النحل، 6

38- النحل، 8

39- مقالات في اللغة والادب 73/2

40- يوسف، 67

41- البحر المحيط 325/5

42- يوسف، 66 وينظر: مقالات في اللغة والادب 67/2-77

43- يس، 35

44- ينظر: الكشاف 996/3-997

45- النمل، 60

46- اجتهادات لغوية 155-156

47- وصف اللغة العر بية دلاليا، 102

48- خواطر...،85

49- ينظر الايضاح، القزويني 9/1

50- الاصول د.تمام، 339

51- مقالات في اللغة والادب 77/2

52- النور، 33وينظر: مقالات في اللغة والادب 77/2
53- الانفال، 35
54- مقالات في اللغة والادب 78/2
55- المسد، 1
56- الفيل،1
57- مقالات في اللغة والادب 80/2
58- القصص، 23
59- مقالات في اللغة والادب 81/2
60- الشعراء 149
61- مقالات في اللغة والادب 82/2
62- المصدر نفسه 83/2
63- آل عمران، 102
64- مقالات في اللغة والادب 84/2
65- الرعد، 11
66- مقالات اللغة والادب 84/2

## المصادر والمراجع


### القرآن الكريم

1- اجتهادات لغوية، د.تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة،2007م
2- الاصول، د.تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1988م
3- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق لجنة بالجامع الازهر، طبعة بالاوفسيت، بغداد، (د.ت)
4- البحر المحيط (التفسير الكبير، ابو حيان، مطابع النصر الحديثة، المملكة العربية السعودية، الرياض، (د.ت)
5- البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، جزءان في مجلد واحد، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2000م
6- حصاد السنين، د.تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة.2012م
7- خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، د.تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2006م

8- دلالة السياق، د.ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1424ه
9- علم الدلالة، د. احمد مختار عمر، ط1، الكويت، 1982م
10- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق، د.مهدي المخزومي، ود.ابراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية، بغداد،1984م
11- الكشاف، الزمخشري، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، 2003م
12- لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار المعارف، مصر، (د.ت)
13- اللغة في الدرس البلاغي، د.عدنان عبدالكريم جمعة، ط1، دار السياب، لندن، 2008م
14- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة د.عباس صادق الوهاب، ط1،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م
15- مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط3، دار القلم، دمشق و الدار الشامية، بيروت،(د.ت)
16- مقالات في اللغة والادب، د.تمام حسان،ط1،عالم الكتب، القاهرة، 2005م
17- وصف اللغة العربية دلاليا، محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، 1993م

## Abstract:

The research is concerned with the important aspect of context in meaning in the Quranic text for Dr. Tammam Hassan. It illustrates the linguistic context as represented by the lexicographical and syntactic relations and the physical context of the speech event and all that is related to actual and abstract ties.